عَـــادُ النُّجُـــومِ
The stars returned

سأطلبُ بُعدَ الدَّارِ عنكمْ لِتَقرَبُوا وتَسْكُبُ عَيْنايَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا!

العباس بن الأحنف

العَاشِقَانِ كِلاهُمـــا مُتَعَتِّبُ وَكِلاهُما مُتَوَجِّدٌ مُتَغَضِّبُ
صَدَّتْ مغاضِبةً، وصَدَّ مُغاضِبًا فكلاهُما مِما يُعالِجُ مُتْعَبُ
إنَّ التَّجَنُّبَ إنْ تَطاوَلَ مِنكُمـــا دَبَّ السُّلُوُّ لَهُ، فعَزَّ المَطْلَبُ

العباس بن الأحنف

عَادُّ النُّجُومِ

قطعتْ الصلةَ بينهُ وبينها زمنًا، فصدتْ عنه وتباعدَ عنها، ولكنَّ الذي ملكَ شغافَ قلبيهما كان أقسَى من أن يُقْطَعَ ، فكَّرَ مِرارًا أن يعيد العهدَ وأن يكفِّرَعن نَزقِه وعنجهيتِه التي طحنتْ نفسَهُ وجعلتهُ شامخًا ظانًا منه بأنَّهُ امتلكَها بينَ يَدَيْه، اِشتاطَ غيظًا وألمًا، واشتعلَ لهيبًا لفِراقِها وكانتْ كذلك، ولكنَّ كرامتَها وقفتْ سدًّا منيعًا أمام تَدفُّقِ حبٍ صافٍ الجريانِ في شَرايينها .

تَلوِي مِرارًا بلسْعِ كُرباجِ الحبِّ الذي أشعَلَ قلبَه نارًا كُلَّما خَلَا بنفسِه وتذكرَتلكَ الصِّلةَ وذلك العهدَ الورديَّ، كانَ حُلمًا يعيشُ مُناه، يحلمُ ويَعُبُ منهُ عبًّا كلما ظَمِئ إليه ...

انتكسَ على عَقبَيْهِ حينما حاولَ التَّواصلَ معها، فكانتْ كصخرةٍ صَلدةٍ صماءَ أبَتْ أنْ تتزحزحَ قَيْدَ أُنْمُلَةٍ أوْ أنْ تتحلَّلَ جزئياتُها من حالتِها الصلبةِ إلى الحالةِ السائلة رغم أنها كانتْ له حالةً غازيةً من قبلُ، تَطيرُ إليه كُلَّما كان قلبُه يَهفو إليها عِشقًا وحبًا وَدَنَفًا .. كانتْ كالموجةِ الهادئةِ تَعزِفُ له سيمفونيةَ الحُبِّ والخلودِ الأبديِّ كلما زمجرَ في قاعِ بحرِهِ الهادِر، واليومَ صارتْ موجةً هادرةً غاضبة تجرِفُ كُلَّ أحاسيسِ الحُب التي قابلتْها وأحستْ بتقلباتِها.

صحا من نومه تعسًا مُطرقًا حزينًا، فكان منذُ قليلٍ يَركبُ معها قاربَ الأحلام، فانقلب بهما في عُرضِ البحرِ الهائجِ الهادِرِ، طارتْ هيَ بفعلِ الرِّياحِ إلى عَنانِ السماءِ، وغاصَ هوَ إلى القاعِ، وجَدَ نفسَه بينَ الأصدافِ والمَحارِ وبينَ الشِّعاب المُرجانيةِ التي قَطَّعَتْ أوصالَهُ كلما تحرَّكَ، وتكالبتْ عليه سباعُ البحرِ ودرافِيلِها، قابَلَهُ حُوتٌ أزرقُ ضخمٌ فاغرًا فاهُ ليلتَقِمَهُ؛ فهرَبَ منهُ وتدَثَّرَ بينَ الشِّعابِ المُرجانية، وسَبَحَ

متنكِرًا كما تَسْبَحُ الأسماكُ الملتفةُ حولَهُ مذعورًا يُفكِرُ بمَنْ طارتْ إلى عَنانِ السَّماءِ .

كَوَّرَ جسمَهُ بِركْنِ شُرفةِ بيتِهِ وهو يَنتَحِبُ وقدْ اغرورقتْ عيناه وحلَّقَ بناظريه إلى السماءِ والنجومِ اللامعةِ، وقدْ أخذتْ تتراقصُ أمامَ بَصرِهِ فشَرَعَ في عَدِّهَا عَدّاً ... والساعةُ تقاربُ الثانيةَ بعدَ منتصَفِ الليلِ، انتصفَ الليلُ كما تَشَظَّى إلى نصفينِ نِصْفٌ في الأرضِ ونِصفٌ في السماء، بين جسمِهِ الذي هو من طينٍ لازِب، وروحِهِ التي حَلَّقتْ في السماء بين النجومِ اللامعة.

كانتِ السَّماءُ ملبدةً بالغُيومِ وكانتْ تَرْمَحُ في ليلٍ ساجٍ ساكنٍ وتغرِسُ حَوافِرَها بين النجوم، كلما صهلتْ وتسارعت ظهر خلفَها نُجومٌ لامعةٌ في كَبِدِ السماء تنظرُ إليه تتجاوب نفسُه مع أصدائِها، خُيِّلَ إليهِ بأنَّهَا إحدَى هذهِ النجماتِ اللامعة، سمِعَ صَوتًا هاتِفًا في السَّحَرِ.

- أنتَ الذي ظلمتَني بكبريائِك المعهودِ ؟

تأمَّلَ الصَّوتَ، إنَّه يُشْبهُ صوت محبوبَتِه ..

- أنتِ ... ؟!

- نَعمْ، أنا ... !

- ارحمي صَبًّا يَقتُلُه الهَوَي ..

- أنتَ مَنْ بعثرتَهُ في الهَواءِ ..

ضَحِكتْ نجمةٌ بجوارِها وغَمَزتْ في خَفاءٍ، لاحظَتْها أنْجُمٌ كُثرُ؛ فهرولن نحوها يُلَمْلِمْنَ أطرافَ رِدائِها الأبيضِ الناصع ... تَبَخْتَرَتْ بينهنَّ تِيهًا ودَلالاً، وكان الموكبُ مَهيباً، والأضواءُ لامعةً، أذنَّ الفَجرُ؛ فاشتعلتِ السماءُ ضياءً، وانطفأ لمعانُ النُّجوم، صَهَلَتْ وتراكَضَتْ خيولُ السُّحُبِ الداكنةِ في كبدِ السماء واصطفَتْ متصادمةً، فانهمرتْ وأغرقَتِ الأرضَ بالماءِ، وتصاعدتْ أرواحٌ وزمجرتِ الرِّياحُ، وكلما مَرَّ عليه نفرٌ في الصَّباحِ، قالوا : مَاتَ عَادُّ النُّجُومِ الوَلْهَانِ.. !!